مجلة عيون المسائل-Oyunul
Mesail Journal
Vol 1. No. 1,
العدد 1 مجلد 1 30- 06 -2023
DOI: 10.5281/zenodo.10691098

دراسة في الدواعي البلاغية للمسكوت عنه في القصة القرآنية
قصة موسى عليه السلام نموذجاً

The Rhetoric of unspoken story in the Qur'an
"The story of Moses"

Ahmad ALYOUSEF

Dr. Salih DERŞEVİ
Karabuk University, Faculty of Islamic Studies
salihdersevi@karabuk.edu.tr

ملخص البحث:

تتناول الدراسة موضوعًا بلاغيًّا لم يوله الباحثون القدر الكافي من البحث على أهميته، وهو المسكوت عنه في القصة القرآنية، أي ما تركه القرآن من تفاصيل وأحداث وأسماء وأحكام لا تتعلق بالمقصد الرئيسي من القصة، ولم يرد ذكرها في القرآن، وقد اختلف العلماء في كيفية التعامل مع هذا المسكوت عنه، وما هي القواعد والمناهج التي يجب اتباعها في استنباطه وتفسيره وتوظيفه في فهم القصص القرآنية واستخراج العبر والدروس منها. يهدف البحث إلى استكشاف أسلوب بلاغي في اللغة العربية يتمثل في المسكوت عنه أو غير المصرّح به في قصة موسى عليه السلام، وذلك في سياق تحليل السور المدنية والمكية التي وردت فيها القصة: سورة البقرة وسورة الكهف وسورة القصص. ينقسم البحث إلى قسمين رئيسيين: القسم النظري: يتناول لغةً واصطلاحًا تعريفات المسكوت عنه ومرادفاتها اللغوية مثل: الصمت والكتمان، ويشرح الفروق اللغوية بينها. كما يتناول الأغراض البيانية للمسكوت عنه، ويجيب عن سؤال مشكلة البحث: لماذا سكت القرآن الكريم عن أشياء لم يذكرها في حين دلنا عليها السياق أو المقام؟ القسم التطبيقي: دراسة تحليلية في آيات مختارة من سورة البقرة، والمائدة، والكهف، والقصص، والنازعات، والدخان، وغافر، مع تحليل الأغراض والفوائد من استخدام هذا الأسلوب.

يُبرز البحث أهمية هذا الأسلوب في البلاغة القرآنية ويُعدّ مساهمة في فهم الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: المسكوت عنه، السورة المدنية، السياق، القصة القرآنية.

Abstract

This study examines a rhetorical topic that has not received enough attention from researchers, despite its importance. This topic is the unmentioned in the Qur'anic story, which is what the Qur'an has left out of details, events, names, and rulings that are not related to the main purpose of the story and are

not mentioned in the Qur'an. Scholars have differed in how to deal with this unmentioned, and what are the rules and methods that should be followed in its inference, interpretation, and employment in understanding Qur'anic stories and extracting lessons and lessons from them. The research aims to explore a rhetorical style in the Arabic language that is represented in the unmentioned or undeclared in the story of Moses, peace be upon him. This is done in the context of analyzing the urban and Meccan surahs in which the story is mentioned: Surah Al-Baqara, Surah Al-Kahf, and Surah Al-Qasas. The research is divided into two main sections. The first section is theoretical and deals with the definitions of the unmentioned, its linguistic synonyms, and the rhetorical purposes of the unmentioned. The second section is applied and deals with an analytical study of selected verses from the three surahs mentioned above. The research highlights the importance of this style in Qur'anic rhetoric and considers it a contribution to understanding the linguistic miracle of the Qur'an.
Keywords: The Unsaid .The Civil Sura. The Context. The Quranic Story.

مقدمة

المسكوت عنه في القصص القرآني هو ما لم يذكره القرآن بصراحة أو تفصيلا، ولكنه تركه للتفكر والتأمل والاستنباط، وهو من باب التقدير والاختصار والتلميح والتركيز على المهم والمفيد. وهذا المسكوت عنه له فوائد وأغراض عديدة، منها: أنه يحفز العقل والفكر على البحث والتدقيق والتحليل والتفسير، ويجعل القرآن حيا ونشيطا في النفوس، ويمنع الجمود والتكرار والملل. أنه يشير إلى أن القرآن ليس محدودا بزمان أو مكان أو ظرف، بل هو شامل وعام ومناسب لكل عصر ومجتمع وحالة، ويترك للمسلمين مجالا للاجتهاد والتطبيق والتجديد. أنه يدل على أن القرآن ليس هدفا بحد ذاته، بل وسيلة للوصول إلى الهدف الأعظم، وهو معرفة الله وطاعته ومحبته والسير على هديه، وأن القرآن لا يريد منا أن نقف عند الحروف والكلمات، بل أن ننظر إلى المعاني والغايات.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في تحديد المعنى المقصود من المسكوت عنه: فما المقصود بالمسكوت عنه؟ هل هو المعلومات التي لم يذكرها القرآن الكريم صراحة، أم هو المعلومات التي يمكن استنباطها منه بالعقل والتفكير؟

اختلاف الآراء حول المسكوت عنه: فهناك من يرى أن المسكوت عنه هو مجرد تفاصيل غير مهمة، وهناك من يرى أنه يتضمن معلومات أساسية وضرورية لفهم القصص القرآني، فما الغرض الذي يقف خلف أسلوب السكوت عن بعض عناصر وتفاصيل القصة القرآنية؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إبراز أهمية الموضوعات المسكوت عنها في قصة موسى عليه السلام.
- التعرف على هذه الموضوعات بشكل أكثر تفصيلاً.
- تقديم تفسيرات لهذه الموضوعات من منظور قرآني.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى وصف الموضوعات المسكوت عنها في قصة موسى عليه السلام في السور المدنية، وتحليلها، وتفسيرها. سورة البقرة وسورة المائدة وسورة القصص وسورة النازعات، وسورة الدخان، وسورة الكهف، وسورة غافر.

المبحث الأول: التعريف بالمسكوت عنه وأغراضه البيانية في القرآن الكريم

تعريف لفظ " سكت " عند أهل اللغة

في كتب اللغة والمعاجم العربية، عرّف لفظ "سكت" بعدة تعريفات، منها: قال ابن منظور في "لسان العرب": "السَّكْتُ: تركُ الكلامِ، سَكَتَ يسْكُتُ سَكْتًا وسُكُوتًا، وسكَتَ عن الأمر: كفَّ عنه. والساكتُ: من لا يتكلم. والمسْكوتُ عليه: ما لم يُذكرْ."[1]

السَّكْتُ: السُّكوتُ، كالسُّكات والسَّاكُوتَةِ، والكثيرُ السُّكوتِ، كالسِّكِّيتِ، والسَّاكُوتِ والسَّاكوتةِ، والفَصْلُ بَيْنَ نَغْمَتَيْنِ بِلا تَنَفُّسٍ. وأسْكَتَ: انْقَطَعَ كلامُه فلم يَتَكَلَّمْ، وسَكَتَ: مات. ورجُلٌ سَكِتٌ: قَليلُ الكلامِ، فإذا تَكَلَّمَ أحْسَنَ.[2] ويقال: "سكت الغضب مثل سكن، ومنه قوله ﷻ:(ولما سكت عن موسى الغضب)، وهناك فرق بين السكوت وبين الصمت؛ فالسكوت هو ترك الكلام مع القدرة عليه، بخلاف الصمت، فلا تعتبر فيه؛ ولذا قيل: الصامت لما لا نُطق له، وأما إطلاق أحدهما على الآخر فمن باب الإطلاقات اللغوية العامة".[3]

إذًا: لفظ "سكت" من الألفاظ العربية التي لها عدة معانٍ، ويمكن استخدامه في عدة سياقات. وهو لفظٌ غنيٌّ بالدلالات، منها ما يدل على ترك الكلام أو كف عن الأمر أو انقطاع النطق أو الموت. ومنها ما يدل على السكون والهدوء والفصل بين النغمات. ومنها ما يدل على الاختلاف والتناقض في الكلام. ولهذا اللفظ أوزان وصيغ ومشتقات كثيرة. وفي القرآن الكريم استخدم اللفظ بمعنى السكون والهدوء عن الغضب.

وهناك فروق لغوية ودلالية لكل من الصمت والسكوت والكتمان والحذف؛ فالصمت والسكوت هما كلمتان متقاربتان في المعنى، فكلاهما يدل على الكف عن النطق أو الكلام، لكن هناك فروق بينهما في الدلالة والاستعمال. الصمت يعني السكون الطويل والمطلق عن الكلام، سواء كان ذلك بسبب عدم القدرة على النطق، أو بسبب الاختيار، أو الاحترام، أو الخوف، أو الدهشة، أو غير ذلك. أما السكوت فيعني السكون القصير والنسبي عن الكلام، وهو يفترض القدرة على النطق والاختيار في التكلم أو التزام الصمت. الصمت يكون أبلغ من السكوت في بعض الحالات، خاصة إذا كان الأمر

---

1 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. **لسان العرب**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار صادر، ط3، 1996. 43/2.

2 الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005)، ص153.

3 أبو نصر بن إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407هـ = 1987م، (سكت).

واضحًا أو معروفًا أو لا يحتاج إلى شرح. السكوت يكون أحكم من الصمت في بعض الحالات، خاصة إذا كان الأمر مبهمًا أو مجهولًا أو يحتاج إلى تفسير.

لماذا سكت القرآن الكريم عن أشياء لم يذكرها في حين دلّنا على المعنى فيها؟

المسكوت عنه ينبع من عقلية العرب الفذة التي نزل القرآن بلغتهم وفصاحتهم وبيانهم، فأصبحوا قادرين على كشف السر في الكلام، سواء كان عاما أو خاصا؛ لأنهم كانوا أذكياء ومبدعين في التعبير والبيان، كما قال الألوسي: " قد وصل العرب في الفطنة والذكاء وحُسن الفهم إلى ما كاد أن يصل إلى حدّ الإعجاز"،[1] وهذا يعني أن القرآن الكريم انطلق من عقلية العرب التي تأثرت بطبيعة الصحراء التي عاشوا فيها، وهي الصحراء التي أعطتهم البيان والذكاء، وكذلك بفضل وجود أسواق أدبية وبلاغية تربوا فيها على المنطق والبيان والنبوغ في أرفع الكلام بدون تكلف أو صنعة.

كما سكت القرآن عن أشياء؛ لأن المقروء هو الأصل الذي قدمه الكتاب الحكيم وأَوْلاه على ما عداه، وهذا معناه أن اختيار المقروء بدقة وعناية إلهية، لذا كان هو الأصل الذي تفرع عنه المعنى والمسكوت عنه بعد ذلك، يقول الجاحظ: " فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية ومواضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخرى ولها حينئذ دلالات أخرى، فمَن لا يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك".[2]

المسكوت عنه من وجهة نظر البلاغيين

المسكوت عنه هو ما يسكت عنه المتكلم في خطابه، ويتركه للمستمع ليفهمه من خلال السياق أو القرائن أو الاستدلال. وهو من الظواهر البلاغية التي تزيد من جمالية الخطاب وتحفز العقل على التفكير التأمّل.

ويمكن تقسيم المسكوت عنه إلى نوعين رئيسيين: المسكوت عنه النحوي، والمسكوت عنه البلاغي. المسكوت عنه النحوي هو ما يسكت عنه المتكلم لأسباب نحوية، مثل الحذف أو الإحالة أو البناء لما لم يسم فاعله. وهو ما يمكن استدراكه بالقواعد النحوية والإعراب. أما المسكوت عنه البلاغي فهو ما يسكت عنه المتكلم لأسباب بلاغية، مثل التلميح أو الاستعارة أو الإيحاء. وهو ما يحتاج إلى التأويل والتفسير والتحليل.

ومن أسرار القرآن الكريم أنه حمل في طياته ظاهرة بلاغية عجيبة، تسمى "المسكوت عنه"، يتركه المتكلم للمستمع ليستنبطه من السياق أو الدلالات أو الاستنتاجات. وقد عده البلاغيون من عجائب الإعجاز القرآني، وأولوه اهتماماً كبيراً، لأنه يربط بين اللفظ والمعنى بطريقة مدهشة، وينمّ عن التضمين البلاغي الذي يجعل القرآن مصدراً للمعاني والمضامين من منظور بلاغي، ويجعل الإعجاز القرآني متجذراً في اللفظ والمعنى، أو اللفظ وما يدل عليه.

---

[1] محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين الحسيني الألوسي (ت 1857هـ)، **بلوغ الأرب في أحوال العرب**، بدون تاريخ، 27/1.

2 الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1996م، 54/1.

لقد أولى البلاغيون موضوع المسكوت عنه في القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، و ألّف كثير من منهم كُتُبًا خاصة في هذا الشأن الذي أعلى من قيمة اللفظ واستخراج ما سكت عنه أو دلالته أو ما أشار إليه عن طريق المجاز أو الكناية أو التلميح أو التضمين...إلخ، ومن ذلك كتاب (مجاز القرآن)، لأبي عبيْدة بن معمر المثنى، وكتاب (نظم القرآن)، للجاحظ، وقد عمل هذان الرجلان العَلَمان على التوافق الشديد بين ألفاظ القرآن وبين ما يستخرجوه من معان هي من معين لغة القرآن، والتي لا تخرج عن دائرة لغة العرب وفصاحتهم، وأبو عبيدة من أوائل مَن كتب في أسلوب القرآن للموازنة بين خطاب القرآن وبين كلام العرب؛ لينتهي من تلك الموازنة إلى أنه نمط من ذلك الكلام".[1]

نستطيع القول: إن العرب كانوا أهل بيان وفصاحة، فلما نزل عليهم القرآن الكريم، انبهروا بجماله وعجزوا عن مضاهاته، ولم يكن ذلك بسبب اللفظ فحسب، بل بسبب المعنى الذي يتضح من السياق والمقام، والذي يحتاج إلى فهم وتأمل وتدبر. وهذا ما سلكه العرب في تفسير القرآن وبيان معانيه، بطريقة تستلزم عقلاً نيراً ولباً حاذقاً، وقد شهدت لهم بذلك كتب العلماء السابقين واللاحقين، الذين بحثوا في إعجاز القرآن وأساليبه عبر التاريخ، وكانوا أقرب الناس إلى لغة القرآن وأدقهم في فهمه واستنباطه واستخراج معانيه؛ لأنه كانت تربطهم بلغة القرآن أواصر نفسية واجتماعية ولغوية جعلتهم متقدمين في توجيه ما أوحَى به السياق واقتضاه الحال وطلبه المآل واستدعاه المقام وطبّقه الواقع، وأفضل شاهد على ذلك هم الصحابة الأطهار رضي الله عنهم الذين كانوا يستفتون النبي صلى الله عليه وسلم ويترك لهم الإجابة في أحيان كثيرة، يتحرون فيها الدقة والمعاني الصائبة الصحيحة التي تتفق مع ما جاء به القرآن الكريم من أساليب وتوجيهات.

"فالمسكوت عنه" هو مصطلح يشير إلى ما يدل عليه اللفظ دون أن يُنطق به. وهناك مصطلحات أخرى تشاركه هذه الخاصية، مثل: (الإيجاز، والتضمين، والكناية، والتلويح، والتأويل، والتفسير، والنظير، والدلالات، والألفاظ، ودلالات المعاني، ودلالات معاني المعاني). كلها تساعدنا على فهم المعنى الصحيح والقريب من السياق، بعد أن ندركه بعمق ودقة. وهذه العلاقة بين المسكوت عنه والمنطوق به تحمل في طياتها جمالًا بلاغيًا وبيانيًا. فهي تعبر عن المراد بالتلميح لا بالتصريح في أغلب الأحيان، وتجعلنا نشعر بإعجاز القرآن الكريم. فهو يحتوي على معانٍ لا تنحصر في اللفظ الظاهر، بل تتجاوزه إلى مستويات أعمق وأرفع من حيث التأويل والتفسير والبحث عن المعنى. وهذا ما يمنحنا الفهم الكامل للسياق.

ولفهم المسكوت عنه، ينبغي علينا الاطلاع على إعجاز القرآن الكريم واستقراء معانيه من خلال مراجعة كتب التفاسير التي توضح العمق الدلالي والصلة القوية بين اللفظ والمعنى من جهة، وبينهما وبين السياق من جهة أخرى. وهذا ما يفرق بين قارئ متمكن من القرآن يسعى إلى استخراج بلاغته ومعانيه وبين قارئ سطحي للقرآن يجهل بلاغته. فالبلاغة هي مفتاح المعنى، ومن فقدها فقد المعنى. وهذا المصطلح المسكوت عنه ينتمي إلى فنون بلاغية أساسية لم تحظ بالاهتمام والدراسة الكافيين من الباحثين في العصر الحديث والعلماء البلاغيين بشكل عام بذريعة أنه مصطلح يقرب من التفسير

[1] سليمان عشراتي، **الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمال السرد الإعجازي**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988م، ص 91.

الموضوعي أكثر من البلاغة، فقد قال الزرقاني رحمه الله: "إن القرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ... فليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"،[1] فالقرآن الكريم يحمل في طياته معاني متعددة تُترك للمفسرين والدراسين وأهل العلم حتى يستخرجوا أسرارها، ولكن بالتدبر والتأمل والتفكر في كل كلمة.

ومما يدل كذلك على أن للألفاظ التي نطق بها القرآن معاني – قلَّت أو كثرت – وأن بينهما وشائج سكت عنها القرآن في بعض الموضع وأشار إليها في الوقت نفسه، وهذا ما ذكره د/ محمد عبدالله دراز في كتابه (النبأ العظيم...) وخصص له عنوانا أسماه "القصد باللفظ والوفاء بحق المعنى" فيقول: " فإن سَرَّك كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع، فانظر حيث شئت من القرآن الكريم تجد بيانا قد قُدّر على حاجة النفس أحسن تقديرٍ، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف، ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية، لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، ولا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية".[2]

نستفيد من كلام د. دراز أمورًا عظيمة:

- أن القرآن يجمع بين اللفظ والمعنى بتناسق تام، فكل لفظة تحمل معنى واضحا وكاملا، وكل معنى يتجلى بلفظة بديعة ومناسبة. وهذا يدل على إعجاز القرآن الذي لا يمكن تقليده أو الإتيان بمثله.
- لا زيادة ولا نقصان في اللفظ؛ فكلمات القرآن تقبل التعبير عنها من كل إنسان بشرط الفهم لكتاب الله – تعالى – ومعرفة استنباط البيان بشكل كامل صحيح كاف للنفس الطاهرة المتقية الزكية العاقلة الربانية التي لا تخالطها شوائب أو نقص في الإيمان ولا انفصال عن قراءة ودراسة القرآن.
- أن المعاني في القرآن مرتبطة بالألفاظ، ولا تنفك عنها. ولفهمها، يجب أن ننظر إلى السياق والمقتضى والمقام، ونربط بين القارئ والمقروء، أي بين نظم القرآن ومتدبره. فالمعنى يتبع اللفظ، ويتصل به، ولا يخرج عن حدوده ولا ينفصل عنه.

الأغراض البيانية للمسكوت عنه في القرآن

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، وهو معجزة أبدية لا يقدر أحد على مضاهاتها أو تفنيدها. ولكن هل تساءلنا يوماً لماذا لم يذكر القرآن بعض الأشياء والمعاني بتفصيل؟ وما هي الحكمة من ذلك؟

في هذا المقال سنستعرض أسباب رئيسية لسكوت القرآن عن بعض الجوانب والمسائل، وهي:

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني(ت1367هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص 326.

[2] عبد الله دراز، **النبأ العظيم نظرة جديدة في القرآن الكريم**، القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، 2005، ص146.

الإيجاز: وهو أن القرآن يختصر الكلام في أقل العبارات وأبلغها، ويترك للمستمع أو القارئ مجالاً للتفكير والتدبر فيما وراء الحروف والكلمات؛ فالقرآن لا يهتم بالتفاصيل الثانوية أو الجانبية، بل يركز على الهدف الرئيسي من القصة أو الحكمة أو النصيحة، ويجعلها واضحة ومؤثرة في النفوس.

إعمال العقل: وهو أن القرآن يحث المسلمين على استخدام عقولهم، في فهم ما أراده الله منهم، وفي استنباط الدلالات والمقاصد من الآيات القرآنية؛ فالقرآن لا يرضى بأن يكون مجرد حفظ وتلاوة، بل يريد أن يكون دراسة وتأمل وتطبيق. ولذلك يترك بعض الأمور مبهمة أو مجازية أو مشتركة، ليدفع المسلمين إلى التحقيق والتفسير والتأويل، وليجعلهم يتابعون السياق والمناسبة والمقصود من القرآن.

الإعجاز القرآني: وهو أن القرآن يتميز بأسلوبه وسياقه عن كل كلام بشري، ويخرج عن المألوف والمعهود في نظمه وبنائه ومعانيه، فالقرآن هو كلام خالق اللغة ومصدرها، وهو أعلى وأجمل وأعذب من كلام الخلق وأساليبهم، فهذا إذا تأمله المتأملُ تبين – بخروجه عن أصناف كلام الخَلْق وأساليب خطابهم– أنه خارج عن العادة وأنه مُعجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميّز حاصل في جميعه ..."[1]

استخراج مجهول من معلوم: وهو أن يكون القرآن مصدرا للمعرفة والهداية، يمكن من خلاله الوصول إلى ما لا يعلمه الناس من الأمور الغيبية أو الشرعية أو العقلية. وذلك لأن القرآن يحتوي على إشارات وتلويحات لما سكت عنه، لا يصرح به بوضوح. ولهذا يجب على المتأمل في القرآن أن يرجع إلى كلام أهل التفسير والتأويل، الذين يبيّنون المعاني التي تستفاد من وضع الجملة أو العبارة، ويكشفون عن اللطائف البلاغية في كتاب الله.

إثارة الفضول والاهتمام: فالله تعالى يسكت عن بعض التفاصيل أو الأسماء أو الأحداث في القصة، ليجعل المستمع أو القارئ يتساءل ويتفكر ويتدبر فيما يريد الله تعالى إيصاله من معاني وحكم.

التشويق والإثارة والتحذير: فالله تعالى يسكت عن بعض النهايات أو العواقب أو النتائج في القصة، ليجعل المستمع أو القارئ يتوق ويترقب ويتحرز مما يحدث في القصة، ومما قد يحدث له إذا تبع طريق الظالمين أو الجاهلين.

التوجيه والإرشاد والتعليم: فالله تعالى يسكت عن بعض الأحكام أو الشرائع أو الأوامر في القصة، ليجعل المستمع أو القارئ يتعلم منها ويتبعها ويطبقها في حياته، ويدرك أن الله تعالى لا يكلفه إلا ما يطيق، وأن الله تعالى يريده خيراً وهداية.

التركيز على الهدف والمغزى: فالله تعالى يسكت عن بعض الأمور الثانوية أو غير المهمة في القصة، ليجعل المستمع أو القارئ يركز على الأمور الرئيسية والمهمة في القصة، والتي تحمل في ثناياها العبر والحكم والدروس.

[1] الباقلاني (ت403هـ): **إعجاز القرآن الكريم**، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة 1997م. ج1/ص 35.

التكثيف والتركيز: يتميز القرآن الكريم بالتكثيف والتركيز، ولهذا فقد استخدم أسلوب المسكوت عنه في قصة موسى عليه السلام، وذلك لتركيز القارئ على المعنى الرئيس للقصة، وعدم تشتيت انتباهه بتفاصيل غير مهمة.

التأثير النفسي: القرآن الكريم يؤثر في نفس القارئ بأسلوبه البليغ والمبهر، ومن ذلك أنه يستخدم أسلوب السكوت عن بعض الجوانب في قصة موسى عليه السلام، ليدفع القارئ إلى التأمل والتعلم من القصة ومعانيها. فعلى سبيل المثال، لم يورد القرآن الكريم تفصيلات كثيرة عن كيفية عذاب الله تعالى لفرعون وقومه، وإنما اقتصر على ذكر بعض النقاط الهامة، مثل أن الله تعالى أغرقهم أجمعين في البحر.

فأسلوب المسكوت عنه هو أسلوب بلاغي يستخدمه القرآن الكريم لتحقيق أغراض بلاغية عديدة، ومنها الإيجاز والاختصار والتكثيف والتركيز والتشويق والإثارة والإيحاء والدلالات والتأثير النفسي. وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في قصة موسى عليه السلام لتحقيق هذه الأغراض، وجعل القصة أكثر تشويقاً وإثارة وتأثيراً على القارئ.

المبحث الثاني: مواضع المسكوت عنه في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم

المسكوت عنه في قصة سورة "البقرة"

قال تعالى: – (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ): [البقرة: 60]. في قوله تعالى:(اضرب بعصاك الحجر فانفجرت) حُذف المعطوف عليه، والتقدير: فضرب فانفجرت، كما ترى أن القرآن سكت عن وصف الانفجار، أي أنهُ لما أُمر بضرب الحجر بالعصا قام بضربه فكانت الضربة قوية منيعة حصينة حتى انفجرت فجاءتها القوة في الضخ والانفعال والانفجار، وهذا يُعد من باب التأثير والتأثر بين الضرب والحجر حتى تأثر الحجر بهذا الضرب القوي بالعصا فصار الحجر متفجرا بالماء من قوة تأثير سيدنا موسى على العصا – بقدرة الله – ومن ثم كان تأثير القوة على الحجر بالضرب الذي أُمر به موسى – عليه السلام،[1] الفاء في (فانفجرت) أفصحت عن مقدر مسكوت عنه ذلك لأنه حذف الضّرْب على تقدير: فَضَرَبه؛ دلالة على أن المأمور التزم الأمر أي أن الغاية من المسكوت عنه الدلالة على سرعة الامتثال لأمر الله.[2]

المسكوت عنه في قصة سورة "المائدة" في قوله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا) [المائدة: 22]

التحليل: نجد أن الله تعالى لم يذكر اسم الأرض التي أمر بني إسرائيل بدخولها، ولم يصف الجبارين الذين يسكنونها، ولم يبين أحوال النقباء الذين بعثهم موسى عليه السلام لاستطلاعها، بل ترك ذلك لنا لنتدبره ونتفكره. والغرض من هذا السكوت هو الاختصار والإيجاز، والتركيز على موقف بني إسرائيل من أمر الله تعالى، وكيف أنهم تخوفوا وترددوا وتمردوا على رسول

[1] ينظر: عبد الحميد محمد كمال، **البلاغة أسس وموازنات**، نشر المكتبة المحمدية، ط2، 1992م، ص 51.

[2] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن وبيانه**، حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية ، الطبعة: الرابعة، ج111/1. بتصرف.

الله موسى عليه السلام، ولم يثقوا بوعد الله تعالى ونصره. وهذا يدل على ضعف إيمانهم وقلة توكلهم وعدم امتثالهم لشرع الله تعالى. وهذا المسكوت عنه تحدث عنه بعض المفسّرين، فقيل: " وكان مما قاله موسى لقومه عند إرسالهم لمعرفة أحوال سكان الأرض المقدسة: " لا تخبروا أحدا سواي عما ترونه "، فلما دخل النقباء – وهم الذين أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة الأرض المقدسة واطلعوا على أحوال سكانها وجدوا منهم قوة عظيمة وأجساما ضخمة، فعاد النقباء إلى موسى، وقالوا له: قد جئنا إلى الأرض التي بعثتنا إليها فإذا هي في الحقيقة تدر لبنا وعسلا، وهذا شيء من ثمارها، غير أن الساكنين فيها أقوياء، ومدينتهم حصينة، وأخذ كل نقيب منهم ينهي سبطه عن القتال إلا اثنين؛ فإنهما نصحا القوم بطاعة نبيهم موسى عليه السلام ولكن بني إسرائيل عصوا أمر هذين النقيبين وأطاعوا أمر بقية النقباء العشرة وأصروا على عدم الجهاد ... ومن ثَمَّ حاول موسى عليه السلام أن يصدّهم عما تردوا فيه من جبن وعصيان، وأن يحملهم على قتال هؤلاء الجبارين، ولكنهم عموا وصموا ورفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا متنا في مصر أو في هذه البرية، فأوحى الله إلى موسى أن الأرض المقدسة محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض؛ جزاء عصيانهم وجُبنهم". [1]

المناسبة التي نزلت فيها هذه الآية هي أن الله تعالى أراد بذلك التنبيه على المسلمين أن لا يقعوا في مثل ما وقع فيه بني إسرائيل من الجبن والعقوبة، وأن يتوكلوا على الله ويجاهدوا في سبيله، وأن يطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يتذكروا نعم الله عليهم وفضله عليهم.

المسكوت عنه في قصّة سورة "النازعات"

قال تعالى:(فأراه الآية الكبرى): [النازعات: 20]. يظهر لنا في هذه الآية – والله أعلم – ثلاث جُملٍ مقدَّرات سكت القرآن الكريم عنها تفصيلًا، لكن المقام من خلال ما أَوْحَى به السّياق في القصّة عامّة وفي الآية خاصّة دلّنا على هذا المسكوت عنه.

وعلى ذلك فإن المسكوت عنه الأوّل هو: سبب مجيء موسى – عليه السلام – إلى فرعون.

والمسكوت عنه الثّاني هو: امتثال موسى – عليه السلام – أمر ربّه في رؤية فرعون للآية الكبرى.

والمسكوت عنه الثّالث هو: الإفصاح عن الآية الكبرى؛ لاختلاف العلماء في تحديدها.

والتقدير في كلٍّ: "فامتثل موسى – عليه السلام – أمر ربه فذهب إلى فرعون؛ لادّعائه الألوهيّة والرّبوبية فدعاه إلى الحق فكذّبه فرعون، فما كان من موسى إلا أن أراه الآية الكبرى، وهي أن ألقى أمامه عصاه فإذا هي حيّة تسعَى، وأن نزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء".[2]

[1] محمد سيد طنطاوي، **تفسير الوسيط**: الفجالة (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998)، 103/4.

[2] طنطاوي، **تفسير الوسيط**، 271/15.

قيل إن المقصود بـ"الآية الكبرى" هنا معجزتا العصا واليد، ومن ثَمَّ فإننا نميل إلى أن التصريح جاء بالمفرد وسُكِت عن المثنى والجمع؛ لأمور، منها:

الأمر الأول: لاعتبار أن الآيات كلها كبرى، لكن إطلاق "الآية الكبرى" على العصا واليد بالذّات؛ لاتحادهما في الصفة، أو اتحادهما في الزمان والمكان، أو أراد بالكبرى العصا وحدها؛ لأنها كانت مُقَدَّمة على الأخرى، وقد تحدّث الزمخشري في تفسيره عن هذه الآية الكريمة بشيءٍ من ذلك.[1]

الأمر الثاني: أن ذلك من باب التخصيص لما جاء على سبيل العموم في آيتي الإسراء والنمل، في قوله تعالى:(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات): سورة الإسراء آية 101، وقوله:(وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه ...): سورة النمل، من آية 12.

ومن ثَمَّ جاء المسكوت عنه للتخصيص في سورة "النازعات"؛ لأهمية هذا الخاصّ وتقديمه على غيره من الآيات والمعجزات، ثم ذَكَر- سبحانه – ما يفيد ترتيب إحدى الآيتين (العصا واليد) وتقديم إحداهما على الأخرى باعتبار ان العصا هي أكبر الآيات، وهذا من باب تقديم الخواصّ على الخواصّ.[2]

الأمر الثالث: أن العرب كانت تطلق في كلامها الشيء الواحد ويُراد به شيئان؛ لاتّحادهما زمانًا ومكانًا بغضّ النظر عن الترتيب في ذِكر أحدهما، وللعلماء في هذا الشأن كلام كثير وباب واسع، وهو تضمين العرب في كلامهم باب الترادف اللفظيّ.[3]

المسكوت عنه في قصّة سورة "الدخان"

أولاً: قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) [الدخان ٣٠-٣٣]

سكت القرآن الكريم في هذه الآيات عن البلاء ولم يفصح عنه، هل هو خيرٌ أو شرٌّ؟

قال الإمام الطبري: إن الله أخبر أنه آتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدّة، ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم.[4]

ونفهم من كلام الإمام الطبري أن الله تعالى سكت عن نوع الابتلاء أفي الخير أم في الشر أم في كليهما؟

---

[1] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، 695/4 بتصرّف.

[2] ينظر: محمد شوكت إبراهيم، **من الخصائص البلاغية في سورة النازعات** نشر مكتبة الفصحاء، ط 1، 1998م، ص55.

[3] ينظر: د/ أحمد بكر جميل، **علاقة العرب بلغة القرآن دراسة تأصيلية لقواعد النحو**، نشر مكتبة النجاح، ط 3، ص 102 وما بعدها.

[4] الطبري، تفسير الطبري، ج48/21.

وفي قوله: "بَلَؤُا مُبِينٌ" أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا- نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ، قَالَهُ الْحَسَنُ، الثاني- عذاب شديد، قاله الفراء، الثالث- اختيار يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، وَعَنْهُ أَيْضًا: ابْتِلَاؤُهُمْ بِالرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ[1]

وسبب اختلاف المفسرين في كلمة البلاء أنها من المشترك اللفظي فلهذه الكلمة (بلاء) عدة معانٍ لم يفصح عن المراد منها: فالبلاء: لفظ متعدد المعاني، ومتشابه في الدلالة، فهو يراد به الاختبار والامتحان، ويشمل الخير والشر، ويكون رحمة أو عقوبة، وقد أوضح القرآن الكريم –كذلك – أن البلاء ينطبق على الخير والشر، فمن ذلك قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [سورة البقرة: ١٥٥]، وهو بلاء شر. ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه: (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا) [سورة الأنفال: ١٧]، وهو بلاء خير. وقد ورد المعنيان معًا في قوله عز وجل: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [سورة الأنبياء ٣٥]، وهو بلاء مزج بين الخير والشر.

وبسبب هذا التشابه في المعنى، اختلف السلف وأهل العلم والمفسرون في تفسير البلاء في هذه الآية. وكانت هذه الكلمة موطن المسكوت عنه، ولنا أن نتساءل ما الغرض من السكوت عنه هنا؟

يظهر لنا أن الله تعالى أخبرنا أنه أنزل على موسى عليه السلام آيات معجزات، ليبين بها حق رسالته وتوحيده، وهذه الآيات كانت بمثابة ابتلاء واختبار لقوم موسى، ليمتحن الله إيمانهم وطاعتهم. وكان هذا الابتلاء والاختبار في الخير والشر على حد سواء، فأحياناً كان الله يرزقهم النعم والفرج، وأحياناً كان يصيبهم البلاء والضيق. ولم يكن هناك دليل قاطع على أن الله فضل بعض القوم على بعض بالنعمة أو المحنة، بل كان الأمر شاملاً للجميع، وكان الفرق بينهم في كيفية رد فعلهم على الآيات والبلاءات، فمنهم من أطاع الله وشكره على النعمة وصبر على المحنة، ومنهم من عصى الله، وكفر بالآيات وجحد النعمة والمحنة.

وهذا التفسير يتوافق مع قاعدة ترجيحية تقول: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2]، فالمسكوت عنه هنا للعموم، وهذه قاعدة مهمة في علم التفسير والأصول، تساعد على فهم القرآن الكريم بشكل صحيح ودقيق.

المسكوت عنه في قصّة سورة "غافر"

قال تعالى :(كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّرٍ جبّار): [غافر: 35]

المسكوت عنه هنا جاء مدلولًا عليه من مدلولات كلمة "يطبع" في الآية الكريمة؛ إذ إن الطبع يكون على القلب وعلى غيره من الجوارح، لكن القلب ذُكِرَ هنا؛ لأنه الأساس في التوجيه والتحريك، وأنه القبلة التي يتوجّه إليها الإنسان نحو الشيء من

[1] أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: **تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1964، ج16/ 143.

[2] حسين بن علي بن حسين الحربي، **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، السعودية، دار القاسم، الطبعة: الثانية، 2008م، رسالة ماجستير– كلية أصول الدين، جامعة الإمام، ج166/2.

حركة أو سكون، أو إيمان أو كفر، أو هدًى أو ضلال، أو شُكر أو جحود، وهكذا...، فكأن لفظة "يطبع" هنا أغلقت الباب أمام هؤلاء الكافرين من بني إسرائيل؛ لأن الله – تعالى – كتب في علمه أنهم ضالون، فكأن قلوبهم صدأت وانكسرت، فلم يعد لديهم بصر أو بصيرة، فعموا وصمّوا عن رؤية الحق والإيمان؛ فقلوبهم قلوب جاحدة لا تحمل إلّا الضلال والإعراض عن الله وتوحيده.

والطبع في حقيقته: الختم، وأصله من الوسخ والدّنس يغشيان السيف، ثمّ استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح ... والطبع ملؤك السقاء حتى لا مزيد فيه من شدّة ملئه.

فالطبع يحمل معاني كثيرة لا تحصى بالكلام، ويتجاوز بفضائه الختم الذي يضيق به

إذًا: فالمسكوت عنه هنا للإيجاز والاختصار؛ فالكلمة تحمل في طيّاتها كثيرًا من المعاني والدلالات والإيحاءات بما كان عليه هؤلاء وما سيصيرون عليه من حالٍ ومآلٍ بعد ذلك؛ حيث إن القرآن في هذه الآية ذَكَر "الطبع" وهو المسبَّب وسكت عن السبب الذي فهمناه من فحوى القصّة قبلها، وهو إعراض قلوبهم عن الحقّ؛ " لما في قلوبهم من ميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت صحّة القلب وسلامته في نقائض ذلك". [1]

6_ المسكوت عنه في قصة سورة "القصص"

أولا: قال تعالى:(وأوحينا إلى أم موسى ...): من آية 7؛ حيث ذَكَر "الأم" فقط.

ثانياً: وقال تعالى :(وقالت لأخته قصيه ...): من آية11؛ حيث ذَكَر "الأخت" فقط.

لم يُفصح القرآن الكريم في هذه القصة هنا إلّا عن "أم موسى" و "أخته" من جميع أهله؛ لأن المقام والسياق – بلا ريب – استدعى ذِكرهما دون غيرهما؛ حيث إن السياق في تلك الأوقات واللحظات العصيبة – التي كان يذبح فيها فرعون الأبناء الذكور – استدعى وطلب من كل أُمّ حانية الدفاع والذود عن ابنها فلذة كبدها (خاصّة وأنه طفل ما زال في المهد رضيعًا يحتاج إلى ثدي مَن تقوم برضاعه وتكفله حتى الفطام)، ومعنى ذلك أن سيدنا موسى – عليه السلام – كان في هذه المرحلة صغيرًا لم يبلغ سنّ الفطام، ولاريب أن مرحلة الرضاع مرحلة فسيولوجية للطفل تدفعه إلى التقام ثدي أُمِّه جِبلَّة وفطرةً؛ لتكسبه من حنانها، وتُعطيه من دفئها، وتُسقيه من لَبَنِها، وتُغذّيه من دمها؛ لذا كانت "أم موسى" هي المرأة المنوط بها في القصة (ذِكرًا وقَصدًا)؛ لبيان قدرة الله – عزّ وجلّ – على إرجاع وليدها الرضيع لها مرّة أخرى؛ لتملأ عينيها بلقائه فرحًا ونورً وسرورًا، ولنتأمّل حكمة الله – تعالى – في إرجاع سيدنا موسى إلى أمه بعد أن رفض الرضاعَ من الموجودات من النساء وقتئذٍ؛ ليلتقي بحنان أمه – عليه السلام – وحبّها وأمومتها وعطفها وشفقتها، وتلك صفات لا تجتمع إلا في أم ذات

[1] ينظر: الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق، محمد عبد الغني حسن، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، ط 1، 1995م، ص 113.

خوف وتقوى ورعاية لأولادها، وكذا صفات لا تجتمع في أي أُمّ تحل محلها أو تكون بدلا عنها في مهمة التربية والكفالة والرضاع مهما بلغت منزلتها في الشفقة والحب والعطاء، وتلك حكمة ربّ الأرض والسماء، وقد بان هذا الخوف، وهذه الرعاية والتقوى وتنفيذ أمر الله – تعالى– فيما أوحى إلى "أم موسى" في قوله: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني): القصص من آية 7، ونلحظُ أيضا أن في الآية الكريمة سكوتًا عن مدة الإرضاع، فقد أمر الله سبحانه أم موسى بإرضاع ابنها وعدم الخوف على مصيره، فهو بحفظ الله. وقد اختلف العلماء في مدة الرضاع، فمنهم من قال: ثمانية أشهر، ومنهم من قال: أربعة أشهر، وآخرون قالوا: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها دون بكاء أو حركة، مما يعني أنه كان في أمان من كل خطر.[1] فالمسكوت عنه جاء لغاية الإرشاد والتوجيه، حيث يُشير النص إلى أن قوله تعالى يُعد إرشادًا للأمهات بعدم إهمال إرضاع أبنائهن لأي سبب، ومهما كانت الأسباب والظروف.

وأما استعمال القرآن للفظ "الأخت" فقط وسكوته عن سواها ممّن يستطيعون إبصار موسى عن بُعدٍ؛ فلأن القرآن بلا ريب رآها أَقْدر من غيرها على تنفيذ المهمة في خُفية تامة، كما قال — سبحانه –:(فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون): القصص، من آية 11، كما أن اختيار الأم وابنتها من بيتٍ واحدٍ دالّ على الاتّحاد والشعور بالمسؤولية أكثر من غيرهما؛ فهذه أمّه، وتلك أخته، ومِن ثَمّ فلا تستطيعان الإفصاح عن أمر موسى لأحدٍ مهما كلّفهما الأمر من جُهد وتعبٍ ومشقّةٍ، بدليل قوله تعالى عن أم موسى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا...)، وهذا معناه أنها كانت في بداية الأمر قلقة فزعة على ابنها، لدرجة أنها لم تر في حياتها إلا هو أمامها فأصبح همَّها وشغلها الشاغل إلى أَن مَنَّ الله على قلبها بالثبات والقوّة والصبر.

والتعبير عنها بأخوّته عليه السلام دون أن يُقال: لبنتها؛ للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر[2]، فقامت بدورها في تنفيذ المهمة أيضا على أكمل وجه مع الأخذ بالأسباب، والحيطة والحذر من فرعون وقومه؛ لئلّا يشعروا بها، فقال تعالى: (فبَصُرتْ به عن جُنُبٍ وهُم لا يشعُرون)، وهذا كله إن دلّ فإنما يدلّ على العناية الإلهية والرعاية الرّبّانية لموسى – عليه السلام – بترتيب دقيق وتخطيط مُحكَم؛ لتجتمع الألفة والمودّة، ويجتمع الحبّ والعطاء والوئام بين الأهل مرّة أخرى بإذن الله — تعالى– الذي إذا أراد أمرًا – بقدرته وكمال علمه وعظيم سلطانه وجلال وجهه – أن يقول له كن فيكون، ولذلك يقول بعض العلماء:" استعمل القرآن لفظ "الأم" و"الأخت" وترك ما عداهما؛ لأنهما أَقْدَرُ على جلب العطاء وإحداث الأُلفة في الرجوع، وتنفيذ المطلوب بسرعة وبأقصى جهد؛ حتى لا يبعد عنهما موسى ولا تبعدا عنه...".[3]

[1] د. علي بن سليمان بن محمد الزبن، **بلاغة حديث القرآن عن قصة أم موسى**، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد الثامن والثلاثون 2019م. ص775.

[2] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، **تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ، ج5/7.

[3] ينظر: محمد حسين محمد ياقوت حسين، **ظواهر الآيات وبواطنها في قصة موسى عليه السلام** ، ط 2، دار الحكمة، سنة2000م، ص 205 بتصرّف.

ثالثًا: قال تعالى:(ووجَد مِن دُونهم امرأتين تَذُودان قال ما خَطبُكُمَا قالتا لا نَسقِي حَتّى يُصدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شَيْخٌ كَبِير): آية 23. في الآية سكوت عن مطلب الفتاتين، وهو "السقي" مباشرة؛ لاستحيائهما، بل قدّمتا ما يدلّ على ذلك بأمرين: الأول قوله تعالى-:"قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء"، والأمر الثاني قوله: (وأبونا شيخ كبير)، وفي ذلك ما يدلّ على اعتذارهما لموسى -عليه السلام – عن مباشرتهما أمر السقي بأنفسهما.

فالكناية: في قوله تعالى وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ: فقد أرادتا أن تقولا له: إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مزاحمة الرجال، ومالنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعن في السن، قد أضعفه الكبر وأعياه، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء.[1]

ثم تأمّل المحذوف في قوله: "تذودان" وقوله: "نسقي"، وهو المفعول به الدال على العموم في اللفظين، والتقدير: ماشيتهما – دون تحديدٍ لنوع الماشية -؛ فالقرآن الكريم لم يهتم بقضية التفصيل في نوع الماشية أهي غنم، أم بقر، أم غير ذلك؟ بل سكت عن المفعول به في الكلام؛ لأن المقصود من السياق أَوْلى من أن يُذكَر المفعول أو يُفصَّل، وكأنه لا حاجة لتفصيله في القصّة، واكتُفي فقط بما يدلّ على الماشية من "الذّود، والسّقي"؛ إذ إن المرادَ بيانُ استحيائهما، وحُسن أدبهما، وجميل خُلُقهما، وعظيم تربيتهما؛ والمراد أيضا التركيز على أخلاق النبي موسى عليه السلام فهو شهم رحيم ذو مروءة. فأما كون المسقي غنما أو إبلا أو غير ذلك فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض،[2] فنفهم من ذلك أن الغرض من المسكوت عنه الاهتمام بالمهم وترك ما عداه.

المسكوت عنه في قصّة سورة " الكهف "

أولاً: قال تعالى: (وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا): آية 60.

في قوله تعالى: "أو أمضي حقبًا" سكت القرآن عن الغاية الزمنية، بينما ذَكَرَ الغاية المكانية في قوله: "مجمع البحرين"، ويبدو من ذلك أنه عليه السلام استغرق في الوصول إلى ذلك المكان زمنًا طويلًا، والكلام على سبيل المبالغة في الوصول بعد جهد وتعب ومشقة، أي أنه لا يبرح مكانه ولا يفارقه مهما كلفه ذلك من تعب أو مرض أو شدّة أو جوع أو هلاك، والمعنى: أنه عليه السلام أبى في قرارة نفسه (ظاهرًا وباطنًا) إلا أن يصل إلى المكان، أما تحديد الزمان فجاء مبهما؛ "فحقيقة الحقب وقت من الزمان مبهم يكون لتمييز سنة أو أقل أو أكثر".[3] ونفهم من ذلك أن المعنى المسكوت عنه والمدلول عليه من المنطوق به في الآية ما ذَكَرَه أبو السعود في تفسيره: "أسير زمنًا طويلًا أتيقّن معه فوات المطلب".[4]

---

[1] محمود صافي، **الجدول في إعراب القرآن**، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان، الطبعة: الثالثة، 1995 م ج245/10.

[2] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن وبيانه**، حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، الطبعة: الرابعة، ج304/7.

[3] أبو جعفر النحاس (ت338هـ)، **إعراب القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 300/2.

[4] أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، 232/5.

يا له من تفسير ممتاز تميل إليه النفس وتقبله؛ لأن معناه الدوام على الثبات والحرص على المطلوب والمبتَغَى حتى يبلغ منتهاه في التعب، والغرض من ذلك: حرص سيدنا موسى – عليه السلام – ألا يفوته المعاد كما لم يفته المكان، مما يدل على عناية الله به، وأن الله – تعالى – صانع به كل خير، وكيف لا؟! والله تعالى هو القائل: (ولتصنع على عيني)، [سورة طه: آية 39]. وقال:(واصطنعتك لنفسي)، [طه، آية 41].

وهذا منه – عليه السلام – دالٌّ على قوته وشدة حرصه على أنما عند الله آتٍ، كأنه جعل يأخذ في تنفيذ الأسباب التي توصله إلى مراد الله، كأنه جعل لسان حاله يقول: لن أهدأ ولن يغمض لي جفن حتى أصل إلى "مجمع البحرين" أو أهلك دونه، أي ولو طالت دونه أحقاب، ثم شاءت قدرة الله وحكمته وتمام علمه في التقاء موسى – عليه السلام – بالخضر ذلك العبد الصالح.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف المتواضع للجوانب المسكوت عنها في قصّة سيدنا موسى – عليه السلام – في القرآن الكريم نستطيع عرض النتائج التي توصّلنا إليها، وهي كالآتي:

- لقد تبين بالبحث أن (المسكوت عنه) في البيان القصصي مصطلح كبير له شأن عظيم في علم البلاغة، وعلم أصول الفقه، وأنه يكثر وروده لدى المفسرين، لأن في القرآن قصصا كثيرة، وأن أسلوب القص اتخذ من السكوت منطلقا علميا يتخلص به مما لا يلزم المقام القصصي، ولا تقتضيه حاجة المتلقي، ومن ثم كان مسلكًا بلاغيًّا، لأن من البلاغة ما يكون بالسكوت، ولقد ظهر أن (المسكوت عنه) في قصة موسى –عليه السلام– لون من ألوان البلاغة لأنه لا يستعمل إلا بسر بلاغي يقف من ورائه، وهو ما أبرزه البحث عند النظر في مواضع (المسكوت عنه) في هذه القصة.
- تبين لنا أن المسكوت عنه قد يدلّ عليه السياق دلالة واضحة، ومن ثَمّ كان تحليلنا في هذا الجانب قائمًا على المواضع التي كان المسكوت عنه فيها خفيًّا يحتاج إلى تأمّل ورويّة وإنعام نظرٍ، ثم الربط بين المسكوت عنه وبين المنطوق أو المقروء من خلال ما أشارت إليه المقامات والسياقات في القصّة.
- لاحظنا أن لكلّ لفظة استخدمها القرآن الكريم وسكت عن تفاصيلها وجودًا وأساسًا مقاميًّا ورَحِمًا نابعة من السياق دلّت على صحة تقدير المسكوت عنه.
- إن من فوائد المسكوت عنه التفخيم والإعظام لما فيه الإبهام، والتشويق واللهفة إلى تقدير المحذوف من الكلام والبحث عن الصلة بين المذكور والمقدّر، ولذلك أطلق القرآن المقروء والمنطوق وترك لنا الاجتهاد في الوصول إلى التفاصيل؛ لتذهب نفس السامع والقارئ والمتلقّي فيه كل مذهب دالّ على التأمّل وإعمال العقل والتدبّر ومراجعة كلام العلماء في كتب علوم القرآن وكتب التفاسير؛ حيث إن كل كلمة متعلّقة بكتاب الله تعالى هي معين لا ينضب ولا ينفد إلى يوم القيامة.

- السكوت عن بعض التفاصيل في القصّة يدع مجالًا للتفكر في هذا المسكوت عنه ونقل العقل من حدث إلى حدث ومشهد إلى مشهد بترتيب دقيق ولهفة إلى المعرفة وتشوّق إلى الغرض المنوط به السياق في القصّة، فضلا عن أن هذا المسكوت عنه يجعل النفس سابحة في عالم التخيل الوجداني والإدراك المعرفي الصادق الذي له صلة وعلاقة بالعالم الخارجي في كل زمان ومكان مهما اختلفت الدور والدهور.
- إن القرآن الكريم كتابُ هداية وإرشاد وتوجيه، فإن كان قد جاء على غاية من الإيجاز وسكت عن بعض التفاصيل فلا يعني ذلك أنه مخل في معانيه وتراكيبه – حاشا للقرآن ذلك –، بل إن ذلك مما يفيد الحصول على الفائدة بصورة أكثر وأوضح في الذهن ويحقق الغاية والوصول إلى المطلوب من خلال تتبع المقروء والمنطوق به من الجمل والتراكيب التي لا توجب مع المعنى لبسا ولا مع الفهم خلطا ولا تبطل بإيحائه فائدة.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، محمد شوكت. من الخصائص البلاغية في سورة النازعات. القاهرة: مكتبة الفصحاء، 1998.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار صادر، 1996م.
- الألوسي، محمود شكري. بلوغ الأرب في أحوال العرب. تصحيح وشرح محمد بهجة الأثري. بدون تاريخ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. تحقيق ووضع فهارسه عبد السلام هارون. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م.
- جميل، أحمد بكر. علاقة العرب بلغة القرآن دراسة تأصيلية لقواعد النحو. القاهرة: مكتبة النجاح، 2023م.
- الجوهري، أبو نصر بن إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.
- الحربي، حسين بن علي بن حسين. قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية. الرياض: دار القاسم، 2008م.
- حسين، محمد حسين محمد ياقوت. ظواهر الآيات وبواطنها في قصة موسى عليه السلام، ط2. بيروت: دار الحكمة، 2000م.
- دراز، عبد الله. النبأ العظيم: نظرة جديدة في القرآن الكريم. القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م.
- الدرويش، محي الدين. إعراب القرآن وبيانه. الطبعة الرابعة. حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، 1994م.
- الرضي، الشريف. تلخيص البيان في مجازات القرآن. تحقيق محمد عبد الغني حسن. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، 1995م.

- الزبن، علي بن سليمان بن محمد. بلاغة حديث القرآن عن قصة أم موسى. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد 38، 2019م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.
- صافي، محمود. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. دمشق-بيروت: دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، 1995م.
- طنطاوي، محمد سيد. تفسير الوسيط. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
- عشراتي، سليمان. الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1988م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. تفسير القرطبي. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964م.
- النحاس، أبو جعفر. إعراب القرآن. تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م.